آثار رحمة اللّه
في المرض والموت

إعداد:
د. علي بن سعيد العبيدي
جامعة الملك خالد – أبها

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ باللّه من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد

فإن رحمة الله تعالى وسعت كل شيء من العالمين، ولها آثار عظيمة تمتد إلى سائر المخلوقات من عالم الغيب والشهادة، بما في ذلك المرض والموت، والذي كل واحد منهما عنوان للشر، فيما يعتقده بعض الناس، وستبرز تلكم الآثار جلية من خلال نصوص الكتاب والسنة، التي استشهدت بها على مسائل البحث.

وقد كان من أكبر أهداف هذا البحث:

١. إبراز صفة الرحمة الإلهية، فيما هو مظنة الألم للإنسان.

٢. تقرير أن المرض والموت ليسا شرًا محضًا.

٣. تقرير أن المرض والموت قدران نافذان.

٤. تصحيح النظرة السلبية نحو الإصابة بالمرض والموت.

وتظهر أهمية هذا الموضوع، من حيث إنه يبرز جانبًا من جوانب الرحمة الإلهية في قضيتين، هما من أهم القضايا التي شغلت بال الإنسان على مر التاريخ، وذلك من خلال الأدلة الصحيحة والبراهين.

وأما مشكلة البحث:

ففي السؤال الآتي: ما علاقة رحمة الله تعالى بالمرض والموت، وكلاهما ألم؟

وأما منهجه: فوصفي تحليلي.

ويشتمل البحث على مقدمة، ومدخل، ومبحثين، وخاتمة.

المقدمة، وفيها: أهداف البحث، وأهميته، وخطته.

مدخل: الرحمة الإلهية وخلق الشر وإرادته.

المبحث الأول: آثار رحمة الله في المرض، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم المرض.

المطلب الثاني: آثار رحمة الله في التداوي.

المطلب الثالث: آثار رحمة الله في العوض في المرض.

المطلب الرابع: آثار رحمة الله المتعدية في المرض.

المبحث الثاني: آثار رحمة الله في الموت، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الموت.

المطلب الثاني: آثار رحمة الله في موت المؤمن.

المطلب الثالث: آثار رحمة الله في موت الطفل.

المطلب الرابع: آثار رحمة الله في موت الكافر.

المطلب الخامس: آثار رحمة الله المتعدية في الموت.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

هذا، وقد اعتمدت الكتب الستة في تخريج الأحاديث، مقدمًا ما اتفق عليه الشيخان، ثم ما انفرد به أحدهما، ومكتفيًا بذلك، فإن لم أجده رجعت لبقية الستة، فإن لم أجده رجعت لما توفر من كتب السنة.

وقد التزمت ألا أذكر من الأحاديث إلا ما كان مقبولًا عند النقاد من الصحاح والحسان دون الضعاف، والله أسأل أن ينفع به، وأن يجعله محققًا لأهدافه.

والله الموفق

مدخل
الرحمة الإلهية وخلق الشر وإرادته

أردت من هذا المدخل التنبيه إلى أنه لا تضاد بين اتصاف الرب تعالى بالرحمة، وبين كونه خالقًا للشر ومريدًا له كونًا، أيضًا تقرير أنه لا يوجد شر محض، فإن إرادة الرب تعالى تنقسم إلى قسمين:

إرادة كونية قدرية، وهذه قد تكون محبوبة لله تعالى، وقد تكون غير محبوبة له، ومع ذا فهي نافذة. لا بد أن تقع، ومن ذلك المرض والموت، وغيرهما مما هو شر بمقاييس البشر.

وإلى إرادة دينية شرعية، وهذه محبوبة ومرادة، وقد تقع أو لا تقع؛ لأن المؤثر فيها اختيار العبد.

وهذا يعني أن الشر -والذي هو في هذا البحث: المرض والموت- يقع بإرادة الله الكونية القدرية.

وهو لا ينافي رحمة الله التي وسعت كل شيء؛ لأنه يقع وفق حكمة إلهية منزهة عن العبث، كما قال ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الدخان:٣٨-٣٩]، والله تعالى هو الحكيم، الموصوف بالحكمة البالغة في خلقه ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [التحريم:٢] الذي يضع الأشياء في مواضعها لغايات محمودة منه تعالى.

وهذه الحكمة قد ندركها ونقف على أسرارها، وقد نجهلها وتخفى علينا ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء:٨٥].

وعليه فيجب علينا أن نعتقد أن الله تعالى منزه عن الظلم ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ [الكهف:٤٩]، وأنه ﷻ قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ﴾ [النساء:٤٠]، وأن أفعاله كلها خير لا شر فيها البته، وما قد يراه الناس شرًا فهو شر نسبي، بمعنى أنه يتضمن خيرًا قد يخفى على البعض، حتى على المبتلى به كما سيمر.

فالمرض ليس بشر محض، والموت ليس بشر محض؛ بل فيهما من الخير ما يعجز عن أن يحيط به خيال إنسان.

قال ابن القيم رحمه الله: "أما الشر المحض الذي لا خير فيه فذاك ليس له حقيقة؛ بل هو العدم المحض، فإن قيل: فإبليس شر محض، والكفر والشرك كذلك، وقد دخلوا في الوجود، فأي خير في إبليس وفي وجود الكفر؟ قيل: في خلق إبليس من الحكم والمصالح والخيرات التي ترتبت على وجوده ما لا يعلمه إلا الله، كما سننبه على بعضه، فالله ﷻ لم يخلقه عبثًا، ولا قصد بخلقه إضرار عباده وهلاكهم، فكم لله في خلقه من حكمة باهرة وحجة قاهرة، وآية ظاهرة، ونعمة سابغة، وهو وإن كان للأديان والإيمان كالسموم للأبدان، ففي إيجاد السموم من المصالح والحكم ما هو خير من تفويتها"(١).

وحتى يتضح الأمر أضرب مثالًا بالبلاء النازل بالأطفال، فإن فيه منافع ذاتية لهم، ومنافع متعدية لوالديهم ولغيرهم، ممن يشهدون البلاء، فالظلم الذي يقع على الطفل ويكون أشده بإزهاق روحه، فظاهره أنه شر محض، لكن الواقع خلاف ذلك تمامًا، ففي حصول هذه المظلمة -رغم قسوتها-

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والحكمة والتعليل (١/١٨٤).

منفعة ذاتية للطفل، من حيث إنه سيكون يوم القيامة من الناجين من النار؛ ومن حيث ما ينال والديه من الأجور مع الصبر والاحتساب، ومنها: الشفاعة لهم بدخول الجنة إن كانوا مسلمين، ومن حيث الآثار الممتدة لغيرهم من عموم المسلمين، الذين يشهدون الحدث، ويعيشونه وفق تعاليم الإسلام لهم فيه، من حيث الاسترجاع، والعظة، ومشاركة المصابين صلاة الجنازة، والتشييع والدفن، والتعزية، ونصرة المظلوم، إلى غير ذلك من المنافع المتعدية.

إذا علم ذلك، فيصح القول: إن الأمراض والآفات وسائر المكاره -التي ظاهرها الشر- مرادة كونًا لا شرعًا، وأنها ليست بشر محض، وأن خلفها غايات وحكم بالغة، كما ستبرزه مطالب هذا البحث، من آثار رحمة الله تعالى في العوض في المرض والموت، وآثار رحمته المتعدية فيهما.

المبحث الأول
آثار رحمة الله في المرض

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول
مفهوم المرض

المرض: السَّقم، والسُّقم[١].

وهو: الوجع[٢]، والعلة[٣]، والداء[٤]، والوصب[٥]، وهو الضر[٦]، والضراء[٧]، والضنى: وهو المرض المُدْنَفِ الذي يلزم صاحبه الفراش، ويضنيه حتى يشرف على الموت، وهو الدنف، والحرض[٨].

وتلكم العبارات ورد بعضها في نصوص الوحي، وبعضها استعملته العرب في كلامها، وإن كان لبعضها دلالة أعمق عندهم.

(١) انظر: الصحاح للجوهري (٤/٢٤٣)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٢/٩٦٠).
(٢) انظر: الصحاح (٤/٤٢٩)
(٣) انظر: الصحاح (٦/٥١)، والمخصص(١/٤٧٢).
(٤) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس (١/٣١).
(٥) انظر: لسان العرب(١/٧١٧).
(٦) انظر: جمهرة اللغة (٢/٣٨).
(٧) انظر: الكليات (ص٩١٥).
(٨) انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس (١/٥٧).

وأصل المرض الضعف كما قال ابن سيده في المخصص[١]، وهو ضدّ الصحّة[٢]، وهو ما يعرض للبدن، فيخرجه عن الاعتدال الخاص[٣]، أي: عن الصحة.

وإذا كان المرض إحساس بالمنافي، فإن الصحة إحساس بالملائم.. كما ذكر ابن الجوزي[٤].

وقد قسم الراغب الأصفهاني المرض إلى قسمين، فقال: «المرض الخروج عن الاعتدال الخاص بالإنسان، وذلك ضربان:

الأول: مرض جسمي، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [الفتح:١٧]، وقوله: ﴿وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ﴾ [التوبة:٩١].

والثاني: عبارة عن الرذائل، كالجهل والجبن والبخل والنفاق، وغيرها من الرذائل الخلقية نحو قوله: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة:١٠]، ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ﴾ [النور:٥٠]»[٥].

ويهمنا النوع الأول، الذي هو موضوع البحث.

والمرض في اصطلاح الفقهاء: «حالة غير طبيعية في بدن الإنسان، تكون بسببها الأفعال الطبيعية والنفسانية والحيوانية غير سليمة»[٦]. وهذا يعني أن المرض يؤدي إلى اضطراب الإنسان اضطرابًا عارضًا، أو اضطرابًا مزمنًا، وقد يكون مخوفًا أو غير مخوف.. وهو في النهاية يعيق نشاطه الدنيوي والأخروي بحسبه كما مر.

(١) انظر: (ص٤٧٢).
(٢) انظر: جمهرة اللغة (٤١٢/١).
(٣) انظر: التعريفات للجرجاني (ص٢٦٨).
(٤) انظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر (ص٤٥٤).
(٥) مفردات ألفاظ القرآن (٤٦٦/١).
(٦) الموسوعة الفقهية الكويتية (٣٥٠/٣٨).

وأيًّا كان الأمر، فإن آثار رحمة الله تعالى تمتد لتشمل سائر الأمراض الجسدية والنفسية على تفاوت فيما بينها.

المطلب الثاني
آثار رحمة الله في التداوي

التداوي، هو: "استعمال ما يكون به شفاء المرض بإذن الله تعالى، من عقار، أو رقية، أو علاج طبيعي"(١).

وفي الموسوعة الطبية الفقهية: "تعاطي الدواء بقصد معالجة المرض، أو الوقاية منه"(٢).

والتداوي من آثار رحمة الله تعالى بالإنسان، فإنه عندما قدر عليه المرض شرع له معالجته في الجملة(٣)، والتحصن منه بدفعه قبل نزوله ورفعه بعد نزوله، ويكون ذلك بالمباح دون المحرم.

وقد دل على مشروعيته، قوله تعالى في النحل: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل:٦٩].

قال القرطبي بعد ذكره لهذه الآية -في المسألة السابعة-، وفيه: "دليل على جواز التعالج بشرب الدواء، وغير ذلك"(٤).

وعن أسامة بن شريك قال: كنت عند النبي ﷺ: وجاءت الأعراب، فقالوا: يا رسول الله، أنتداوى؟ فقال: «نعم، يا عباد الله: تداووا، فإن الله

(١) معجم لغة الفقهاء (١/١٢٦).
(٢) الموسوعة الطبية الفقهية والنوازل العصرية (١/٩٨).
(٣) تنازع الناس في التداوي، قال ابن تيمية: "والتحقيق أن منه ما هو محرم، ومنه ما هو مكروه، ومنه ما هو مباح، ومنه ما هو مستحب، وقد يكون منه ما هو واجب". مجموع الفتاوى (١٨/١٢).
(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٠/١٢٥).

عز وجل لم يضع داء إلا وضع له دواء، غير داء واحد: الهرم»[1].

وفي النهي عن التداوي بالمحرم، قال تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف:١٥٧].

وعن أبي هريرة قال: «نهى النبي ﷺ عن الدواء الخبيث»[2].

وقد جاءت النصوص المتعلقة بالأمراض في السنة على ثلاثة أضرب، وهي تبرز آثار رحمة الله في الوقاية والتداوي:

الأول: نصوص جاءت بالدلالة على أنواع معينة من الأدوية.

وهي قسمان: رقى وأدعية، ومطعومات ومشروبات.

القسم الأول: الرقى والأدعية.

الرقى والأدعية من آثار رحمة الله في علاج المريض، وهي ما يكون فيها تلاوة لآي من القرآن أو الحديث على المريض، وقد تكون مصحوبة باللمس والنفث، وبأعداد محددة.

قال ابن القيم في بيان فضل الرقية بكلام الله وحصول التأثير به رحمة من الله لعباده: "ومن المعلوم أن بعض الكلام له خواص ومنافع مجربة، فما الظن بكلام رب العالمين؟ الذي فضله على كل كلام كفضل الله على خلقه، الذي هو الشفاء التام، والعصمة النافعة، والنور الهادي، والرحمة العامة، الذي لو أنزل على جبل لتصدع من عظمته وجلالته،

(١) أخرجه أبو داود، كتاب: الطب، باب: في الرجل يتداوى (٤/١برقم٣٨٥٧) واللفظ له، والترمذي، كتاب: الطب، باب: ما جاء في الدواء والحث عليه (٤/٣٤٣برقم٢٠٣٨) بنحوه، وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه، كتاب: الطب، باب: ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء (٤/٤٩٧برقم٣٤٦٣)، وأورده الألباني في مشكاة المصابيح (٢/٥٢٦) وصححه، وانظر: السلسلة الصحيحة (٢/٣٩٤).

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب: الطب، باب: الأدوية المكروهة (٢/٣٩٩برقم٣٨٧٠)، والترمذي، كتاب: الطب، باب: ما جاء فيمن قتل نفسه بسم (٤/٣٨٧برقم٢٠٤٥)، وابن ماجه، كتاب: الطب، باب: النهي عن الدواء الخبيث (٤/٥١٣برقم٣٤٥٩)، وأورده الألباني في تحقيقه للمشكاة (٢/٥٢٨) وصححه.

قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء:٨٢]"[١].

وقد حفلت السنة بالكثير من الرقى والأدعية -أضرب لها بمثالين للاختصار- فمن ذلك:

١. ما جاء عن عثمان بن أبي العاص أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعًا يجده في جسده، فقال له رسول الله ﷺ: «ضع يدك على الذي يألم من جسدك، وقل: بسم الله ثلاثًا، وقل سبع مرات: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر»، قال: ففعلت، فأذهب الله ما كان بي.[٢].

٢. وعن عائشة زوج النبي ﷺ، أنها قالت: كان إذا اشتكى رسول الله ﷺ رقاه جبريل، قال: «بسم الله يبريك، ومن كلّ داء يشفيك، ومن شرّ حاسد إذا حسد، وشرّ كلّ ذي عين»[٣].

القسم الثاني: المطعومات والمشروبات وغيرهما.

وهي مما خلقه الله تعالى للإنسان، ويسر له اكتشافها والوصول إليها، والتداوي بها، رحمة منه تعالى بهم، وقد جاء ذكر أصولها في قوله ﷺ: «الشفاء في ثلاثة: شربة عسل، وشرطة محجم، وكية نار، وأنا أنهى أمتي عن الكي»[٤].

وهذه الثلاثة بعض ما يتداوى به الناس، وليس المراد حصر التداوي فيها، قال ابن حجر: "ولم يرد النبي ﷺ حصر الشفاء في هذه الثلاثة، فإن الشفاء قد يكون في غيرها، إنما نبه على أصول العلاج"[٥].

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (١٧٧/٤).
(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الطب، باب: استحباب وضع يده على موضع الألم (٢٠/٧برقم٥٨٦٧).
(٣) أخرجه مسلم، كتاب: الطب، باب: الطب والمرضى والرقى (١٣/٧برقم٥٨٢٨).
(٤) أخرجه البخاري، كتاب: الطب، باب: الشفاء في ثلاث (٢١٥٢/٥برقم٥٣٦٥).
(٥) فتح الباري (١٣٨/١٠).

وقد جاءت السنة بتفصيلات لهذه الثلاث وما يتفرع عنها، -أضرب لها بمثالين للاختصار- فمن ذلك:

١. العسل: فعن أبي سعيد أن رجلًا أتى النبي ﷺ، فقال: «أخي يشتكي بطنه؟ فقال: اسقه عسلًا، ثم أتاه الثانية، فقال: اسقه عسلًا، ثم أتاه الثالثة، فقال: اسقه عسلًا» ثم أتاه فقال: قد فعلت. فقال: «صدق الله، وكذب بطن أخيك، اسقه عسلًا»، فسقاه، فبرأ[١].

٢. الحبة السوداء: قال ﷺ: «الحبة السوداء شفاء من كل داء، إلا السام» قلت: وما السام؟ قال: «الموت»[٢].

وهناك الْكَمْأَة، والْقُسْطَ، والصَّبِر، والْعَجْوَة، والتَّلْبِينَة، والإِثْمِد، وألبان الإبل وأبوالها، وغير ذلك كثير مما صحت به النصوص، وهي تبرز آثار رحمة الله تعالى في التداوي من المرض، وأنه سبحانه خلقها لنا، وهدانا للإفادة بها، ويمكن طلبها في مظانها من كتب السنة وغيرها حيث لا يمكن الاستطراد هنا.

الثاني: نصوص جاءت بالتحصن الوقائي.

وهو قسمان: مادي، ومعنوي.

القسم الأول: دلائل رحمة الله في الجانب الوقائي المادي:

اهتم الإسلام بالجانب الوقائي فيما يتعلق بالأمراض بصفة عامة، وبالوبائية منها بصفة خاصة، وهي مما يدل على رحمة الله تعالى بعباده، فقد شرع لهم ونبههم إلى ما يقيهم الابتلاء بالأمراض، ومن مظاهر هذا

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الطب، باب: الدواء بالعسل (٥/٢١٥٢، برقم٥٣٦٠) واللفظ له، ومسلم، كتاب: السلام، باب: التداوي (٤/١٧٣٦برقم٢٢١٧).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الطب، باب: الحبة السوداء (٥/٢١٥٣برقم٥٣٦٣) واللفظ له، ومسلم، كتاب: السلام، باب: التداوي (٤/١٧٥٣برقم٢٢١٥).

الاهتمام في هذا الجانب:

١. نهيه عن دخول الأرض الموبوءة أو الخروج منها.

وذلك لحصر الوباء فلا تتسع دائرته، وهو ما يعرف في الطب الحديث بالحجر الصحي، قال ﷺ: «الطاعون رجس، أرسل على طائفة من بني إسرائيل أو على من كان قبلكم، فإذا سمعتم به بأرض، فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها، فلا تخرجوا فرارًا منه»[١].

ولذا لم يجز بعض العلماء السفر إلى البلدان الموبوءة أو الخروج منها إلا لغرض صحيح.

٢. نهيه المريض أن يقدم على الصحيح.

قال ﷺ: «لا يورد ممرض على مصح»[٢]، وهذا المنع من مظاهر وآثار الرحمة الإلهية، فبه تضيق دائرة المرض المعدي.

٣. أمره بالابتعاد عن بعض أصحاب الأمراض المعدية بأبلغ عبارة.

قال ﷺ: «فر من المجذوم كما تفر من الأسد»[٣]، أخذًا بأسباب الوقاية.

ولما جاء وفد ثقيف لمبايعة النبي ﷺ كان معهم رجل مجذوم، فأرسل إليه النبي ﷺ: «إنّا قد بايعناك فارجع»[٤].

٤. أمره العاطس بأن يضع كفيه على وجهه.

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الأنبياء، باب: أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم (٣/١٢برقم٣٢٨٦) واللفظ له، ومسلم، كتاب: السلام، باب: الطاعون والطيرة... (٤/١٧٣٧برقم٢٢١٨).
(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الطب، باب: لا هامة (٥/ ٢١٧٧برقم٥٤٣٧)، ومسلم، كتاب: السلام، باب: لا عدوى ولا طيرة... (٤/١٧٤٣برقم٢٢٢١) كلاهما بلفظه.
(٣) أخرجه البخاري، كتاب: الطب، باب: الجذام (٥/٢١٥٨برقم ٥٣٨٠).
(٤) أخرجه مسلم في الطب، باب: اجتناب المجذوم ونحوه (٧/١٧برقم ٥٩٥٨).

وذلك أن العاطس قد يتطاير من فمه ما يؤذي الجلساء، أو يلوث الهواء، قال ﷺ: «إذا عطس أحدكم فليضع كفيه على وجهه، وليخفض صوته»[1].

وقد شرع الإسلام جملة من الآداب الراقية في التصرفات والأفعال، ويصح أن تكون وسائل وقائية، يقوم بها المرء حال الشرب والبصاق، وقبل تناول الطعام وبعده، ويحترم فيها ما يشترك فيه الناس من المياه والطرق والظل، ويتأكد العمل بها عند ظهور المعديات، لما قد يترتب على التفريط فيها من ضرر ذاتي أو متعدٍّ، وهي من آثار رحمة الله التي علمها عباده.

القسم الثاني: دلائل رحمة الله في الجانب الوقائي المعنوي:

تتمثل في التحصينات الإلهية، التي هي من جزاء الإيمان، وهي كثيرة وميسرة للجميع، فلا تحتاج منا إلى قوى عضلية، ولا إلى ضرائب مالية، وستلاحظ أن منها ما هو استباقي، أي يقال قبل وقوع المكروه لدفعه، ومنها ما يقال بعد وقوعه لرفعه -أضرب لها بمثالين للاختصار- فمن ذلك:

١. التحصن بـ «بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء...» صباحًا ومساء ثلاث مرات.

فعن أبان بن عثمان قال: سمعت أبي يقول: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم. ثلاث مرات فيضرّه شيء»، وكان أبان قد أصابه طرف فالج (أي: شلل) فجعل الرجل ينظر إليه، فقال له أبان: ما تنظر إليَّ؟ أما إن الحديث كما حدثتك، ولكني لم أقله يومئذ ليمضي الله عليَّ قدره[2].

(١) أخرجه الحاكم (٤/٢٩٣برقم٧٦٨٤)، وأورده الألباني في صحيح الجامع (١/٦٨٥) وحسنه.
(٢) أخرجه أبو داود، كتاب: الأدب، باب: ما يقول إذا أصبح (٤/٤٨٤برقم٥٠٩٠)، والترمذي، كتاب: الدعوات،=

٢. التحصن بالدعاء لدفع البلاء ورفعه.

الدعاء أمضى سلاح في دفع البلاء قبل نزوله، وفي تخفيفه أو رفعه بعد نزوله؛ لقوله ﷺ «لا يغني حذر من قدر، والدعاء ينفع مما نزل و مما لم ينزل، و إن البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة»[١].

قال ابن القيم: "الدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدافعه ويعالجه، ويمنع نزوله، ويرفعه أو يخففه إذا نزل..."[٢].

٣. التحصن بسؤال العفو والعافية.

قام ﷺ على المنبر يومًا ثم بكى، فقال: «اسألوا الله العفو والعافية؛ فإن أحدًا لم يعط بعد اليقين خيرًا من العافية»[٣].

قال الحكيم: "هذا من جوامع الكلم، إذ ليس شيء مما يعمل للآخرة يتقبل إلا باليقين، وليس شيء من أمر الدنيا يهنأ به صاحبه إلا مع الأمن والصحة وفراغ القلب، فجمع أمر الآخرة كله في كلمة، وأمر الدنيا كله في كلمة"[٤].

والتحصينات غير ما ذكر كثيرة -يمكن طلبها في مظانها- وهي تدل

= باب: الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى (٤٦٥/٥ برقم ٣٣٨٨) واللفظ له، وقال: حديث حسن صحيح غريب، وابن ماجه، كتاب: الدعاء، باب: ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى (٣٥/٥ برقم ٣٨٦٩)، وأورده الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٩٥/١) وصححه.

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦٦/٣ برقم ٢٤٩٨) بنحوه، والحاكم في المستدرك (٤٩٢/١ برقم ١٨١٣)، واللفظ له، وقال: "حديث صحيح ولم يخرجاه"، وأورده الألباني في صحيح الجامع (١٩٧/٢٨) وحسنه.

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص٢٢).

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب: الدعوات، باب: ١٠٦ (٥٥٧/٥ برقم ٣٥٥٨) واللفظ له، وقال: غريب من هذا الوجه عن أبي بكر، وابن ماجه، كتاب: الدعاء، باب: الدعاء بالعفو والعافية (١٩/٥ برقم ٣٨٤٩)، وأورده الألباني صحيح الترغيب في (١٧٦/٣) وقال: حسن صحيح.

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير (١٠٦/٤).

في جملتها على آثار رحمة الله فيما شرع لعباده من وسائل الوقاية من الأمراض وغيرها متى التزم الذاكر شروط الإفادة.

الثالث: نصوص جاءت بالنهي عن التداوي بالمحرم.

وهذا من آثار رحمة الله تعالى في تحريم ما به ضرر خالص أو راجح، كون المحرمات قد تزيد المرض، كالرقى والتمائم الشركية، والنجاسات، والخمر.

والأصل في التحريم قوله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف:١٥٧].

وفي الجملة: «نهى النبي ﷺ عن الدواء الخبيث»[١]، و"هو النجس أو الحرام أو ما يتنفر عنه الطبع، وقد جاء تفسيره في رواية الترمذي بالسم"[٢].

وهناك استثناءات في التداوي بالمحرم، ولشيخ الإسلام كلام نفيس في ذلك فليراجع[٣]، وللعلماء تفصيل في التداوي بالمحرم والنجس والمستخبث منفردًا، وفي حال خلطه بغيره، وفي حال الأكل وحال الدهن ونحوه.

المطلب الثالث
آثار رحمة الله في العوض في المرض

أردت في هذا المطلب إبراز آثار رحمة الله تعالى على المريض عند إصابته بالمرض من خلال نصوص الوحي، وأن المرض وإن كان به ألم، وبه إضعاف أو حبس عن العبادات، وتعطيل عن الكسب والسعي في الأرض،

(١) تقدم تخريجه.
(٢) عون المعبود (٢٥٢/١٠)
(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٢٧٠/٢٤).

إلا أن في أعطاف ذلك من الخير والرحمة بالمبتلى الكثير، قال ﷺ: «من يرد الله به خيرًا يصب منه»[١].

قال ابن القيم: "الآلام والأمراض والمشاق من أعظم النعم؛ إذ هي أسباب النّعم"[٢].

فالله تعالى قد يصيب العبد بالمرض إما لمحو سيئاته، أو لرفع درجاته، أو لإبداله بصحة هي أفضل مما كان عليه، إلى غير ذلك من المنافع التي تبرز رحمة الله تعالى من خلال المرض، وإلى شيء من البراهين الدالة على العوض في المرض:

١. إن الله يكفر به السيئات.

قال ﷺ: «ما من مسلم يصيبه أذى، شوكة فما فوقها إلا كفر الله بها سيئاته، كما تحط الشجرة ورقها»[٣]، وعند مسلم: «إلا كتبت له بها درجة، ومحيت عنه خطيئة»[٤]، وشواهد هذه الفقرة من السنة كثيرة جدًا.

٢. إن الله يكتب للمريض أجر ما كان يعمل من الخير، وهو صحيح.

قال ﷺ: «إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا»[٥].

٣. إن الله يبدل صحة المريض متى حمده ولم يشكه بصحة أفضل.

قال ﷺ: «إذا مرض العبد بعث الله إليه ملكين فيقول: انظرا ماذا

(١) أخرجه البخاري، كتاب: المرضى، باب: ما جاء في كفارة المرضى (٥/٢١٣٨برقم٥٣٢١).
(٢) شفاء العليل (ص٥٢٥).
(٣) أخرجه البخاري، كتاب: المرضى، باب: أشد الناس بلاء الأنبياء... (٥/٢١٣٩ برقم ٥٣٢٤).
(٤) أخرجه مسلم، كتاب: البر والصلة، باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه (٤/١٩٩١ برقم ٢٥٧٢).
(٥) أخرجه البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: يكتب للمسافر مثل ما كان يعمل (٣/١٠٩٢ برقم ٢٨٣٤).

يقول لعواده، فإن هو إذا دخلوا عليه حمد الله وأثنى عليه رفعا ذلك إلى الله وهو أعلم، فيقول: لعبدي عليَّ إن أنا توفيته أن أدخله الجنة، وإن أنا أشفيته أن أبدله لحمًا خيرًا من لحمه، ودمًا خيرًا من دمه، وأن أكفر عنه سيئاته»[1].

٤. إن الله يضاعف به الأجر.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن الطاعون، فأخبرني أنه «عذاب يبعثه الله على من يشاء، وأن الله جعله رحمة للمؤمنين، ليس من أحد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابرًا محتسبًا يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان مثل أجر شهيد»[2].

٥. إن الله يرفع به المنازل.

قال ﷺ: «إن العبد إذا سبقت له من الله منزلة لم يبلغها بعمله ابتلاه الله في جسده أو في ماله أو في ولده»، قال أبو داود: زاد ابن نفيل: «ثم صبره على ذلك»، ثم اتفقا: «حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله تعالى»[3].

٦. إن الله يدخل به الجنة.

عن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى. قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ، فقالت: إني أصرع، وإني أتكشف، فادع الله لي. قال: «إن شئت

(١) أخرجه مالك، كتاب: العين، باب: ما جاء في أجر المريض (٢/٩٢٠برقم١٦٨٢)، والحاكم في المستدرك (١/٣٤٨برقم١٢٩٠) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، والبيهقي في شعب الإيمان (١٢/٣٢٩برقم٩٤٧١) وقال: "وقد روي عنه موصولاً"، وأورده الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/١٨٥) وصححه، وفي السلسلة (١/٢٧٢) وأطال الكلام عليه.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الأنبياء، باب: أم حسبتم... (٣/١٢٨١برقم٣٢٨٧).

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب: الجنائز، باب: الأمراض المكفرة (٢/٢٠٠برقم٣٠٩٠)، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة(٦/٩٨) وصححه.

صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك»، فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشف، فادع الله أن لا أتكشف فدعا لها[1].

وقال ﷺ: «إن الله قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه، فصبر، عوضته منهما الجنة»[2].

٧. إن الله ينجي به من النار.

فعن أبي هريرة: أن النبي ﷺ عاد مريضًا، فقال له رسول الله: «أبشر، فإن الله عز وجل يقول: هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن في الدنيا لتكون حظه من النار في الآخرة»[3].

فتبين من النصوص السابقة أن الله ما أصاب من عبده أو أخذ منه إلا ليعطيه، وهذا من آثار رحمته تعالى بعباده.

المطلب الرابع
آثار رحمة الله المتعدية في المرض

أردت في هذا المطلب إبراز آثار رحمة الله تعالى التي تنال غير المريض من جراء إصابة المريض بالمرض، سواء كان هذا الغير من أهل المريض وقرابته، أم كان من عموم المسلمين.

وقد حفلت نصوص الوحي بكثير من الأدلة التي تبين سعة رحمة الله بعباده، وعظيم فضله عليهم، إذ جعل الله لهم بكرمه نصيبًا من الثواب

(١) أخرجه البخاري، كتاب: المرضى، باب: فضل من يصرع من الريح (٥/٢١٤٠ برقم ٥٣٢٨) واللفظ له، ومسلم، كتاب: البر والصلة، باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه (٤/١٩٩٤ برقم ٢٥٧٦) بمثله.
(٢) أخرجه البخاري، كتاب: المرضى، باب: فضل من ذهب بصره (٥/٢١٤٠ برقم ٥٣٢٩).
(٣) أخرجه الترمذي، كتاب: الطب، باب: ٣٥ (٤/٤١٢برقم٢٠٨٨) نحوه، وابن ماجه، كتاب: الطب، باب: الحمى (١/٤٢٥ برقم ٣٤٧٠) واللفظ له، وأورده الألباني في الصحيحة (٢/٥٦، وصحيح ابن ماجه (٢/٢٥٨) وصححه.

والأجر، وتكفير السيئات والذنوب، كما جعل لهم ألوانًا من الخيرات والعطايا، ومن أمثلة ذلك:

١. إن الله يكفر به الخطايا.

قال ﷺ: «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن، ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر اللّه بها من خطاياه»(١).

٢. إن الله جعل الملائكة تستغفر لعائد المريض.

فعن علي رضي الله عنه موقوفًا: «ما من رجل يعود مريضا ممسيا إلا خرج معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى يصبح، وكان له خريف في الجنة، ومن أتاه مصبحًا خرج معه سبعون ألف ملك، يستغفرون له حتى يمسي، وكان له خريف في الجنة»(٢).

٣. إن الله يكتب به السلامة لمن حمده عند رؤية المبتلى بالمرض وغيره.

قال ﷺ: «من رأى مبتلى، فقال: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به، وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلًا؛ لم يصبه ذلك البلاء»(٣)، وفي رواية: «عوفي من ذلك البلاء، كائنًا ما كان ما عاش»(٤).

(١) أخرجه البخاري، كتاب: المرضى، باب: ما جاء في كفارة المرضى (١٠/١٠٧ برقم ٥٦٤٢) واللفظ له، ومسلم، كتاب: البر والصلة، باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه... (٤/١٩٩١ برقم ٢٥٧٢) نحوه.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب: الجهاد، باب: فضل العيادة على وضوء (٢/٢٠٢ برقم ٣٠٩٨) واللفظ له، والترمذي، كتاب: الجنائز، باب: عيادة المريض (٣/٣٠٠ برقم ٩٦٩) وقال: حسن غريب، وقد روي عن علي من غير وجه منهم من وقفه ولم يرفعه، وابن ماجه، كتاب: الجنائز، باب: ما جاء في عيادة المريض (٢/٤٣٦ برقم ١٤٤٢)، وقال الشيخ الألباني: صحيح موقوف. وزاد في صحيح الترغيب والترهيب (٣/١٩٧) "صحيح، ورواه بنحو هذا أحمد وابن ماجه مرفوعًا".

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب: الدعوات، باب: ما يقول إذا رأى مبتلى(٥/٣٧١ برقم ٣٤٢٢)، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وأورده الألباني في صحيح الترمذي (٣/١٥١) وصححه.

(٤) أخرجه الترمذي كتاب: الدعوات، باب: ما يقول إذا رأى مبتلى(٥/٤٩٣برقم٣٤٣١) واللفظ له، وابن ماجه، كتاب: الدعاء، باب: ما يدعو به الرجل إذا سافر (٥/٥٣برقم٣٨٩٢)بلفظ: "كائنا ما كان"، وأورده الألباني في صحيح الترمذي (٧/٤٣١) وحسنه. قلت: ويشهد له الحديث الذي قبله، كما قرره الألباني في الضعيفة (١٣/٢٩٥)، وقال: "... وهو مخرج مع حديث سالم في "الصحيحة" (٦٠٢) تخريجًا علميًا دقيقًا، فليراجعه من شاء".

قال المباركفوري: "من رأى مبتلى في أمر بدني، كبرص وقصر فاحش أو طول مفرط أو عمى أو عرج أو اعوجاج يد ونحوها، أو ديني، بنحو: فسق وظلم وبدعة وكفر وغيرها، فقال: «الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به...» أي فضلني في الدين والدنيا والقلب والقالب إلا عوفي من ذلك البلاء... مدة بقائه في الدنيا"[1].

٤. إن الله جعل لزائر المريض من يدعو له بطيب العيش، والمنزلة العظيمة في الجنة.

قال ﷺ: «إذا عاد الرجل أخاه أو زاره قال الله له: طبت وطاب ممشاك، وتبوأت[2] منزلًا في الجنة»[3].

٥. إن الله جعل زائر المريض في جنى الجنة.

قال ﷺ: «المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع»[4].

(١) تحفة الأحوذي (٩/٢٧٥).
(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٣/٢٧٤)، وانظر: تفسير غريب ما في الصحيحين (ص٢٠٤).
(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب: الزيارة (١/١٢٦برقم٣٤٥)، وأورده الألباني في صحيح الأدب المفرد (١/١٤٣) وحسنه.
(٤) أخرجه مسلم، كتاب: البر والصلة، باب: فضل عيادة المريض (٨/١٣برقم٦٧١٨).

المبحث الثاني
آثار رحمة الله في الموت

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول
مفهوم الموت

الموت عند أهل اللغة: ذهاب القوة من الشيء.

قال ابن فارس: "الميم والواو والتاء أصل صحيح يدل على ذهاب القوة من الشيء، ومنه الموت خلاف الحياة"(١).

وفي الشرع: مخلوق من المخلوقات، يقابل الحياة، وهو أيضا: مفارقة الروح الجسد، كليًا بالموت أو جزئيًا بالنوم.

والمقصود هنا الكلام عن آثار رحمة الله في الموت، الذي به تفارق الروح الجسد كليًا، والذي يسمى: الحتف، والمنون، وشعوب، والسام، والحمام، والردى، والحين، والثكل، والوفاة، والهلاك(٢)، والذي يسمى أيضًا: الساعة الصغرى، والقيامة الصغرى(٣).

(١) معجم مقاييس اللغة (٥/٢٨٣).
(٢) انظر: الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة (١/٢٣٢)، ومقاييس اللغة (٢/١٣٥)، وتهذيب اللغة (٤/٢٥٧).
(٣) انظر: إحياء علوم الدين (٤/٦٤)، وتفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦/٤٠٤)، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٧/١٤١).

هذا هو موضوع البحث، وهو مسبوق بالاحتضار.

والاحتضار، هو الساعة التي يكون فيها العبد في إقبال من الآخرة وإدبار من الدنيا، وهو وقت حضور الموت، وقرب مفارقة الروح البدن، وهو أحد مفردات الإيمان باليوم الآخر التي تسبق الموت، وفيه تكون السكرات، والبشارات، وحضور الملائكة الموكلة باستلام الروح قبل نزعها.

وسيتبين لنا من المطالب القادمة كيف أن آثار رحمة الله تعالى ممتدة إلى كل شيء بما في ذلك الموت -ومقدماته- المفزع للقلوب، والذي به يكون نهاية الأجل.

المطلب الثاني
آثار رحمة الله في موت المؤمن

كما أن آثار رحمة الله تعالى بالمؤمن تجلت عند المرض، فهي كذلك تتجلى عند الموت ومقدماته، التي من أهمها ساعة الاحتضار، قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣]، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد:٩]، وهذا خاص بالمؤمنين وحدهم، ولهذا كانت مظاهر رحمته بهم عند الموت أكثر من الكافرين.

قال الشيخ العثيمين: "فإذا سألك سائل: هل لله رحمة على الكافر؟ لا تقل: نعم ولا لا، أما بالمعنى العام، فنعم له رحمة، ولولا رحمة الله به لهلك، وأما بالمعنى الخاص فلا، الرحمة الخاصة للمؤمنين فقط، قال عز وجل: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣]"[1].

(١) مجموع فتاوى العثيمين (١٨/٢٠) نسخة إلكترونية، المكتبة الشاملة.

وإليك جملة من آثار رحمة الله في موت المؤمن، كما دلت عليه النصوص:

١. إن الله جعل كراهة الموت فطرية.

فلا يؤخذ عليها، ذلك إنه لما قال ﷺ: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه». قالت عائشة أو بعض أزواجه: إنا لنكره الموت، قال: «ليس ذاك، ولكنّ المؤمن إذا حضره الموت بشّر برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا حضر بشّر بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره إليه مما أمامه، فكره لقاء الله وكره الله لقاءه»[١].

والمؤمن غالبًا لا يكره الموت إلا خوفًا من تقصير يؤاخذ به، أو طمعًا في خير يزداد منه، ومثل هذا يعذر صاحبه، بخلاف من كرهه لأجل متع الحياة وإيثارها على نعيم الآخرة فمذموم، قال التبريزي: "من كره الموت إيثارًا للحياة على ما بعد الموت من نعيم الآخرة كان مذمومًا، ومن كرهه خشية أن يفضي إلى المؤاخذة كأن يكون مقصرًا في العمل لم يستعد له بالأهبة بأن يتخلص من التبعات، ويقوم بأمر الله كما يجب، فهو معذور، لكن ينبغي لمن وجد ذلك أن يبادر إلى أخذ الأهبة، حتى إذا حضره الموت لا يكرهه؛ بل يحبه لما يرجو بعده من لقاء الله"[٢].

٢. إن الله جعل الموت عتقًا للمؤمن من سجن الدنيا.

قال ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»[٣]، قال النووي: "معناه: أن كل مؤمن مسجون ممنوع في الدنيا من الشهوات المحرمة

(١) أخرجه البخاري، كتاب: بدء الوحي، باب: من أحب لقاء الله (٥/٢٣٨٦برقم٦١٤٢).
(٢) مشكاة المصابيح (٥/٥٨٧).
(٣) أخرجه مسلم، كتاب: الزهد والرقائق (٤/٢٢٧٢برقم٢٩٥٦).

والمكروهة، مكلف بفعل الطاعات الشاقة، فإذا مات استراح من هذا، وانقلب إلى ما أعد الله تعالى له من النعيم الدائم، والراحة الخالصة من النقصان، وأما الكافر فإنما له من ذلك ما حصل في الدنيا مع قلته وتكديره بالمنغصات، فإذا مات صار إلى العذاب الدائم وشقاء الأبد"[1].

٣. إن الله يغفر ذنوب المؤمن ويحط سيئاته.

قال ﷺ: «ما من نفس تموت، وهي تشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، يرجع ذلك إلى قلب مؤمن إلا غفر اللهلها»[2]، قال ابن القيم: "لشهادة أن لا إله إلا الله عند الموت تأثير عظيم في تكفير السيئات وإحباطها؛ لأنها شهادة من عبد موقن بها، عارف بمضمونها"[3].

٤. إن الله جعل تمني المو تجائزًا في حال دون حال.

فيجوز تمني الموت في حال خوف الفتنة؛ لقوله ﷺ: «اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون»[4].كما يجوز تمني الموت شهيدًا؛ لحديث: «من سأل الله الشهادة بصدق، بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه»[5].

ولا يجوز تمني الموت في حال الضر؛ لقوله ﷺ: «لا يتمنين أحدكم

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٩/٤٠٦٨).
(٢) أخرجه ابن ماجه، كتاب: الأدب، باب: فضل لا إله إلا الله (٤/٧١٠برقم٣٧٩٦)، وأورده الألباني صحيح سنن ابن ماجه (٢/٣١٨) وصححه، وفي الصحيحة (٥/٢٧٧).
(٣) الفوائد (ص٥٥).
(٤) أخرجه الترمذي، كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة ص (٥/٣٦٦برقم٣٢٣٥)، وقال: حديث حسن صحيح، وأورده الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/٩٧) وصححه.
(٥) أخرجه مسلم، كتاب: الإمارة، باب: استحباب طلب الشهادة (٦/٤٨برقم٥٠٣٩).

الموت لضر نزل به، فإن كان لا بد متمنيًا للموت، فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي»[١]، لما في ذلك من منافاة للصبر والرضى بالقدر.

٥. إن الله شرع للمؤمن التعوذ من فتنة الموت حال السعة.

لينجو منها ساعة الاحتضار، جاء في الحديث: «وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات»[٢]، وفتنة الموت: فتنة الاحتضار أو القبر، وأضيفت إلى الموت لقربها منه[٣].

٦. إن الله يوفق المؤمن لعمل صالح يقبضه عليه.

قال ﷺ: «إذا أراد الله بعبد خيرًا استعمله، فقيل: كيف يستعمله يا رسول الله؟! قال: يوفقه لعمل صالح قبل الموت»[٤]، وفي حديث آخر: «إذا أراد الله بعبد خيرًا عسله، فقيل: وما عسله؟ قال: يفتح له عملًا صالحًا بين يدي موته، حتى يرضى عنه من حوله»، وفي رواية قال: «يفتح له عملًا صالحًا قبل موته، ثم يقبضه عليه»[٥].

٧. إن الله عدد مواطن الشهادة للمؤمن.

بحيث شملت أصنافًا عدة غير قتيل المعركة، إما لشرف الموطن أو لهوله وشدة ألمه، ومما جاء في ذلك قوله ﷺ: «ما تعدون الشهيد فيكم؟»، قالوا: يا رسول الله من قتل في سبيل الله فهو شهيد، قال:

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الدعوات، باب: الدعاء بالموت والحياة (٥/٢٣٧ برقم ٥٩٩٠) واللفظ له، ومسلم، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة، باب: كراهة تمني الموت لضر نزل به(٤/٢٠٦٤ برقم ٢٦٨٠) نحوه.
(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الدعوات، باب: التعوذ من فتنة المحيا والممات (٥/٦٠٠٦برقم٢٣٤١).
(٣) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٥/٨٥)، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري (٦/١١٧).
(٤) أخرجه الترمذي، كتاب: القدر، باب: ما جاء أن الله كتب كتابًا لأهل الجنة وأهل النار (٤/٤٥٠ برقم ٢١٤٢)، وقال: حديث حسن صحيح، وأورده الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٤٤٥) وصححه.
(٥) أخرجه أحمد (٣/١٢٠برقم١٢٢٣٥)، وأورده الألباني في صحيح الجامع الصغير (١/١١٧)، وانظر: الصحيحة (٣/١٨٨).

«إن شهداء أمتي إذًا لقليل»، قالوا: فمن هم يا رسول الله، قال: «من قتل في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في البطن فهو شهيد، والغريق شهيد»[1].

وقال ﷺ: «الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله: المطعون شهيد، والغريق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمبطون شهيد، والحرق شهيد، والذي يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجُمْع[2] شهيد»[3].

وقال ﷺ: «من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد»[4]، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال ﷺ: «سيّد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله»[5].

٨. إن الله جعل ملائكة الرحمة تحضر المؤمن وتبشره بالخير، عكس الكافر.

قال تعالى يصف حال السعداء ومآلهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَكُمْ

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب بيان الشهداء (١٥٢١/٣برقم١٩١٥).
(٢) أي تموت وفي بطنها ولد. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١٦٤/١).
(٣) أخرجه أبو داود، كتاب: الجنائز، باب: في فضل من مات في الطاعون (١٥٦/٣برقم٣١١٣) واللفظ له، والنسائي، كتاب: الجنائز، باب: النهي عن البكاء على الميت (١٣/٤برقم١٨٤٦)، وابن ماجه، كتاب: الجهاد، باب: فضل الشهادة في سبيل الله (٨١/٤برقم٢٧٩٨)، وأورده الألباني في أحكام الجنائز(ص٣٩) وصححه.
(٤) أخرجه الترمذي، كتاب: الديات، باب: ما جاء فيمن قتل دون ماله فهو شهيد(٣٠/٤برقم١٤٢١) واللفظ له، وقال: حديث حسن، والنسائي، كتاب: تحريم الدم، باب: من قتل دون ماله (١١٦/٧برقم٤٠٩٥)، وأورده الألباني في صحيح سنن الترمذي (١١٣/٢) وصححه.
(٥) أخرجه الحاكم (٢١٥/٣برقم٤٨٨٤)، وأورده الألباني في صحيح الترغيب والترهيب(٢٨٥/٢) وصححه، وانظر: الصحيحة (٣٧٣/١).

فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت:٣٠-٣٢]، فيبشرون حال احتضارهم بالخيرات وحصول المسرات[١]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [النحل].

قال ابن كثير: "هذا خبر عن السعداء... أخبر تعالى عن حالهم عند الاحتضار أنهم طيبون، أي: مخلصون من الشرك والدنس وكل سوء، وأن الملائكة تسلم عليهم وتبشرهم بالجنة"[٢].

وأما الأشقياء، فقال تعالى يصف حالهم ومآلهم: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾﴾ [الفرقان]، «وذلك يصدق على وقت الاحتضار حين تبشرهم الملائكة بالنار والغضب من الجبار"[٣].

ومما جاء في السنة، قوله ﷺ: «إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر... و إن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر»[٤].

٩. إن الله جعل توبة المؤمن مقبولة ساعة الاحتضار.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [النساء].

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/٣١٤).
(٢) المرجع نفسه (٢/٥٦٢).
(٣) المرجع نفسه (٣/٣١٤).
(٤) أخرجه أحمد (٤/٢٨٧ برقم ١٨٥٥٧)، وأورده الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير (٧/٣) وصححه.

والتوبة من قريب، هي التوبة قبل حضور الموت، أي: قبل الغرغرة[١].

والغرغرة تكون آخر وقت الاحتضار بعد رؤية الملك وانتزاعه الروح، وفي الحديث: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»[٢]، أي: "ما لم تبلغ روحه حلقومه"[٣].

ويدل على قبول التوبة مطلقًا حال الاحتضار وقبل المعاينة والنزع: ما ثبت في الصحيحين من دعوة النبي ﷺ عمه أبا طالب إلى التوحيد وهو في حال الاحتضار[٤].

ولما ثبت في الصحيحين من دعوته ﷺ للغلام اليهودي -الذي عاده في مرض موته- إلى التوحيد، فأسلم ومات عليه، فكان من الناجين، ومن الصحابة المرضيين[٥]. أما ساعة معاينة ملك الموت ونزع الروح فإن التوبة لا تقبل.

١٠. إن الله يعطي المؤمن ظنه الحسن من الرحمة والعفو وغيرهما.

فيتفكر المحتضر في سعة رحمة الله ومغفرته وعفوه؛ لقوله ﷺ: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل»[٦] ففيه تغليب جانب الرجاء، قال ابن حجر تعليقًا على حديث: «أنا عند ظن عبدي بي»[٧]: "وهو كما قال أهل التحقيق مقيد بالمحتضر، ويؤيد ذلك حديث: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله»"[٨].

(١) انظر: تفسير روح البيان (١٤٣/٢).
(٢) أخرجه الترمذي، كتاب: الدعوات، باب: فضل التوبة والاستغفار (٥٤٧/٥برقم٣٥٣٧) واللفظ له، وابن ماجه، كتاب: الزهد (٣٢٢/٥ برقم ٤٢٥٣)، وأورده الألباني في صحيح الترمذي (١٧٥/٣) وحسنه.
(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٦٦٥/٣).
(٤) انظر: صحيح البخاري(٤٥٧/١برقم١٢٩٤).
(٥) انظر: صحيح البخاري (٤٥٥/١برقم١٢٩٠).
(٦) أخرجه مسلم، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: الأمر بحسن الظن بالله... (٢٢٠٥/٤ برقم ٢٨٧٧).
(٧) أخرجه البخاري، كتاب: التفسير، باب: يريدون أن يبدلوا كلام الله (٢٧٢٥/٦ برقم ٧٠٦٦)، ومسلم، كتاب: الذكر والدعاء، باب: الحث على ذكر الله (٢٠٦١/٤ برقم ٢٦٧٥) كلاهما بلفظه.
(٨) فتح الباري (٣٨٥/١٣).

ومن إحسان الظن بالله تعالى عند الاحتضار الدعاء بالمغفرة والرحمة تأسيًا بالنبي ﷺ، فإنه كان يقول في ساعة الاحتضار: «اللهم اغفر لي، وارحمني، وألحقني بالرفيق الأعلى»[(١)].

١١. إن الله شرع له التعوذ من حضور الشيطان ساعة الاحتضار.

حتى لا يفسد عليه، دل على ذلك ظاهر قوله تعالى: ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون]، قال الشنقيطي: "والظاهر... أن المعنى: أعوذ بك أن يحضرني الشيطان في أمر من أموري كائنًا ما كان، سواء كان ذلك وقت تلاوة القرآن...أو عند حضور الموت، أو غير ذلك"[(٢)].

وكان من دعاء النبي ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من الهدم، وأعوذ بك من التردي، وأعوذ بك من الغرق، والحرق، والهرم، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت...»[(٣)]، وتخبط الشيطان للمحتضر يكون بإفساد دينه أو عقله[(٤)].

١٢. إن الله شرع تلقين المؤمن عند الاحتضار.

قال ﷺ: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله»[(٥)]، قال النووي: "معناه من حضره الموت، والمراد: ذكروه لا إله إلا الله؛ لتكون آخر كلامه، كما في الحديث: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»"[(٦)].

(١) أخرجه البخاري، كتاب: بدء الوحي، باب: مرض النبي (٤/١٦١٤برقم ٤١٧٦) واللفظ له، ومسلم، كتاب: السلام، باب: استحباب رقية المريض (٤/١٧٢١برقم٢١٩١) بمعناه.
(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٥/٣٥٣).
(٣) أخرجه النسائي، كتاب: الاستعاذة، باب: الاستعاذة من التردي والهدم (٨/٢٨٣برقم٥٥٣٣)، وأبو داود، كتاب: سجود القرآن، باب: في الاستعاذة (١/٤٨٤برقم١٥٥٢) واللفظ له، وأورده الألباني في صحيح أبي داود (٥/٢٧٤) وصححه.
(٤) انظر: التيسير بشرح الجامع الصغير (١/٤٨٨).
(٥) أخرجه مسلم، كتاب: الجنائز، باب: تلقين الميت(٢/٦٣١برقم٩١٧).
(٦) شرح النووي على صحيح مسلم (٦/٢١٩).

١٣. إن الله يثبت المؤمنين على التوحيد عند الموت.

قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم]، أي: "كلمة التوحيد، وهي قول: لا إله إلا الله، في الحياة الدنيا يعني قبل الموت وفي الآخرة يعني في القبر، هذا قول أكثر المفسرين"(١).

١٤. إن الله لم يسو بين المؤمن والكافر عند الاحتضار، كذا عند قبض الروح وخروجها.

جاء تقسيم الناس عند الاحتضار كما في آخر سورة الواقعة إلى ثلاثة أقسام: مقربين، وأصحاب يمين، ومكذبين ضالين، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾﴾ [الواقعة:٨٨-٩٣].

قال ابن سعدي: "ذكر الله تعالى أحوال الطوائف الثلاث: المقربين، وأصحاب اليمين، والمكذبين الضالين في أول السورة في دار القرار، ثم ذكر أحوالهم في آخرها، عند الاحتضار والموت"(٢)، ثم ساق الآيات بتفسيرها.

وعليه فيختلف قبض الأرواح وانتزاعها، وكيفية خروجها، وما ينالها بعد ذلك.

قال ﷺ: «نفس المؤمن تخرج رشحًا، ونفس الكافر تخرج من شدقه كما تخرج نفس الحمار»(٣)

(١) معالم التنزيل (٣/٣٣).
(٢) المرجع السابق.
(٣) أخرجه الترمذي، كتاب: الجنائز، باب: التشديد عن الموت (٣/٣٠٩برقم٩٨٠) بأوله، والطبراني في الكبير (٩/٣٥برقم١٠٢٤٦) بلفظه، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة (٥/١٥٠) وحسنه.

وقد جاءت السنة بالتفريق بين نزع روح المؤمن، ونزع روح الكافر، وما يعقب ذلك، كما في قوله ﷺ: «... إنّ العبدالمؤمن إذا كان في انقطاع من الدّنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السّماء بيض الوجوه، كأنّ وجوههم الشّمس، معهم كفن من أكفان الجنّة، وحنوط من حنوط الجنّة، حتّى يجلسوا منه مدّ البصر، ثمّ يجيء ملك الموت عليه السلام حتّى يجلس عند رأسه، فيقول: أيّتها النّفس الطّيّبة، اخرجي إلى مغفرة من اللّه ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السّقاء... وإنّ العبدالكافر، إذا كان في انقطاع من الدّنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السّماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مدّ البصر، ثمّ يجيء ملك الموت، حتّى يجلس عند رأسه، فيقول: أيّتها النّفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من اللّه وغضب، قال: فتفرّق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السّفّود من الصّوف المبلول...»[1].

١٥. إن الله يخفف على المؤمن سكرات الموت، وفي شدته على البعض زيادة حسنات أو تكفير سيئات.

سكرات الموت كرباته وغمراته وشدته نتيجة الألم، وهي عامة للمؤمن والكافر، وهي على الكفار والعصاة أشد.

وقد ذكر الحق تعالى السكرات في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ [ق:١٩]، وهي المرادة بقوله تعالى في الغشي: ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأحزاب:١٩]، والذي يغشى عليه من الموت، هو المحتضر يغمى عليه لما يعاني من سكرات الموت[2].

(١) أحمد (٤/٢٨٧برقم١٨٥٥٧)، وأورده الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/٢١٩) وصححه.
(٢) أيسر التفاسير (٣/٢٧٩)، وانظر: بيان المعاني (٦/٢٨)، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/٩٣٣).

وفي صحيح البخاري: أن عائشة رضي الله عنها كانت تقول: إن رسول الله ﷺ كان بين يديه ركوة أو علبة فيها ماء -شك عمر- فجعل يدخل يديه في الماء، فيمسح بهما وجهه، ويقول: «لا إله إلا الله، إن للموت سكرات» ثم نصب يده، فجعل يقول: «في الرفيق الأعلى» حتى قبض، ومالت يده[1].

وعن أنس رضي الله عنه قال: لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه، فقالت فاطمة عليها السلام: وا كرب أباه، فقال لها: «ليس على أبيك كرب بعد اليوم»[2]، وهذا دليل على المعاناة والألم عند السكرات.

وقد تقدم ذكر الفرق والاختلاف بين المؤمن والكافر حال الاحتضار والبشارة ونزع الروح، وكون الكافر يكون أكثر ألماً، وقد وصف القرآن الكريم حال الظالمين في السكرات وشدة الملائكة عليهم، فقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام:٩٣]. وإن كانت المعاناة عامة ومتفاوتة المقدار، إلا أن الشهيد يخفف عليه كما دل عليه ظاهر قوله: «الشهيد لا يجد مس القتل إلا كما يجد أحدكم القرصة يقرصها»[3]، كذا ظاهر قوله: «المؤمن يموت بعرق الجبين»[4]. وشدة الموت لا يستدل بها على نقص المرتبة، قال ابن

(١) أخرجه البخاري، كتاب الرقائق، باب: مرض النبي... (٤/١٦١٢برقم٤١٨٤).
(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الجمعة، باب: مرض النبي ووفاته (٤/١٦١٩برقم٤١٩٣).
(٣) أخرجه النسائي، كتاب: الجهاد، باب: ما يجد الشهيد من الألم (٦/٣٦برقم٣١٦١) واللفظ له، والترمذي، كتاب: فضائل الجهاد، باب: فضل المرابط (٤/١٩٠برقم١٦٦٨) وقال: "حسن صحيح غريب"، وابن ماجه، كتاب: الجهاد، باب: فضل الشهادة (٤/٨٤برقم٢٨٠٢)، وأورده الألباني في مشكاة المصابيح (٢/٣٧٢) وحسنه، وانظر: السلسلة الصحيحة (٣/٣٤).
(٤) أخرجه النسائي، كتاب: الجنائز، باب: علامات موت المؤمن (٤/٦برقم١٨٢٩) واللفظ له، والترمذي، كتاب: الجنائز، باب: المؤمن يموت بعرق الجبين (٣/٣١٠برقم٩٨٢) وقال: حديث حسن، وابن ماجه، كتاب: الجنائز، باب: ما جاء في المؤمن يؤجر في النزع (٢/٤٤٢برقم١٤٥٢)،

حجر: "شدة الموت لا تدل على نقص في المرتبة؛ بل هي للمؤمن إما زيادة حسنات، وإما تكفير سيئات"[١].

١٦. إن الله شرع دعاء المؤمنين له بالمغفرة إذا قبض، وتأمين الملائكة على ذلك.

قال ﷺ: «إذا حضرتم المريض أو الميت، فقولوا خيرًا، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون»[٢].

١٧. إن الله يقبل شفاعة المصلين فيه.

قال ﷺ: «ما من مسلم يموت، فيقوم على جنازته أربعون رجلًا، لا يشركون بالله شيئًا، إلا شفعهم الله فيه»[٣].

١٨. إن الله جعل الشهادة له بالخير موجبة للشفاعة فيه.

الثناء على الميت فيه تزكية يترتب عليها ما يترتب على الشفاعة من نفع للميت بدخول الجنة، أو غفران ما بينه وبين ربه من الذنوب، التي لم يطّلع عليها الشهود، قال رسول الله ﷺ: «أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة».

قال: قلنا: أو ثلاثة، قال: «أو ثلاثة» فقلنا: أو اثنان، قال: «أو اثنان» ثم لم نسأله عن الواحد[٤].

١٩. إن الله يكرمه إن مات في غير بلده.

فعن عبدالله بن عمرو قال: توفي رجل بالمدينة ممن ولد بالمدينة،

وأورده الألباني في المشكاة (٣٧٢/٢) وصححه، وانظر: أحكام الجنائز (ص٣٥).

(١) فتح الباري (٣٦٦/١١).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الجنائز، باب: ما يقال عند المريض والميت (٣٨/٣برقم٢١٦٨).

(٣) أخرجه مسلم في الجنائز، باب: من صلى عليه أربعون فشفعوا فيه (٦٥٥/٢برقم٩٤٨).

(٤) أخرجه البخاري في الجنائز، باب: ثناء الناس على الميت (٤٦٠/١برقم١٣٠٢).

صلى عليه النبي ﷺ، فقال: يا ليته مات في غير مولده، فقال رجل من الناس: ولم يا رسول الله؟ قال: «إن الرجل إذا مات في غير مولده قيس له من مولده إلى منقطع أثره في الجنة»[1].

٢٠. إن الله يكرمه بشفاعة النبي محمد ﷺ إن مات في المدينة.

فما من مسلم يموت فيها إلا أدركته شفاعة المصطفى ﷺ، وقد رغب أمته في ذلك، فقال كما في حديث المبحث: «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها، فإني أشفع لمن يموت بها»[2].

المطلب الثالث
آثار رحمة الله في موت الطفل

في موت الأطفال خلاص لهم من شقاء الدنيا وعذابها، وفكاك من سجنها الضيق إلى سعة الآخرة، والموت بهجة لهم وتحفة، سواء كانوا أطفال مسلمين أم أطفال مشركين، ذلكم أن موتهم قبل سن التكليف علامة على سعادتهم، وكونهم من أهل دار النعيم.

وما قيل من آثار رحمة الله تعالى في موت المؤمن يقال بعضها هنا في موت الأطفال في الجملة.

إلا أني أفردت الأطفال بمطلب مستقل؛ لدخول أطفال المشركين مع أطفال المؤمنين في الحكم دون آبائهم، ولكون آثار الرحمة الإلهية في

(١) أخرجه النسائي، كتاب: الجنائز، باب: الموت بغير مولده (٧/٤ برقم ١٨٣٢) واللفظ له، وابن ماجه، كتاب: الجنائز، باب: فيمن مات غريبًا (٥٣٩/٢ برقم ١٦١٤)، وأورده الألباني في صحيح وضعيف الجامع (٤٤٣/٦) وحسنه.

(٢) أخرجه والترمذي، كتاب: المناقب، باب: فضائل المدينة (٧١٩/٥ برقم ٣٩١٧) واللفظ له، وابن ماجه، كتاب: المناسك، باب: فضل المدينة (١٠٣٩/٢ برقم ٣١١٢)، وأورده الألباني في الصحيحة (٤٢٧/٦) وصححه.

الموت تشملهم معًا، على تمايز فيما بينهم في الدرجة والرتبة.

فقد جعل الله تعالى الجنة مقر الأطفال الذين ماتوا دون سن البلوغ[١]، وهذا من آثار رحمته بغير المكلفين ممن ماتوا على الفطرة، دل على ذلك قوله ﷺ: «النبي في الجنة، والشهيد في الجنة، والمولود والوليدة»[٢].

وهذا عام لم يخصه النبي ﷺ بأطفال المؤمنين دون غيرهم.

ومما يشهد له قوله ﷺ: «سألت ربي اللاهين[٣]من ذرية البشر أن لا يعذبهم، فأعطانيهم»[٤].

وأيضًا قوله ﷺ: «أطفال المشركين هم خدم أهل الجنة»[٥].

ومن آثار رحمة الله بالأفراط أن هيَّأ لمن مات منهم حال الرضاعة مرضعًا تتم رضاعه في الجنة؛ لقوله ﷺ: «إن إبراهيم ابني، وإنه مات في الثدي، وإن له ظئرين[٦] يكملان رضاعه في الجنة»[٧].

(١) القول بأن أطفال المشركين في الجنة هو الحق الذي تشهد له النصوص، وهو قول ابن عباس. انظر: تفسير القرآن العظيم(٤/٤٧٨)، وهو اختيار الإمام البخاري كما أشار الحافظ في الفتح(٣/٢٩٠)، وابن حزم كما في الفصل (٤/١٢٧، ١٣٥)، والأصول والفروع (٢/٢٨٨)، والقرطبي في التذكرة (ص٥٩٨)، والنووي في شرحه على مسلم (١٦/٢٠٧).

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب: الجهاد، باب: فضل الشهادة (٢/٣٢٢برقم٢٥٣٢)، قال ابن حجر في الفتح (٣/٢٩٠): إسناده حسن، وأورده الألباني في صحيح سنن أبي داود(٢/٤٧٩برقم٢٢٠٠) وصححه.

(٣) اللالهين: هم الأطفال. انظر: فتح الباري (٣/٢٩٠).

(٤) أخرجه أبو يعلى(٧/١٣٨برقم٤١٠١، ٤١٠٢)، والطبراني في الأوسط (٦/١١برقم٥٩٥٧)، وأورده الحافظ في الفتح (٣/٢٩٠) وحسن إسناده، والألباني في الصحيحة (٤/٣٨٠) وقال: حسن بمجموع طرقه.

(٥) أخرجه الطيالسي (٩/٢٨٢برقم٢١١)، والطبراني في الكبير (٧/٢٩٥برقم١٦٩٩٣)، وأورده الألباني في صحيح الجامع (١/٣٤١) وصححه، وفي الصحيحة (٣/٢٥٢) وقال: صحيح بمجموع طرقه وشواهده.

(٦) الظئر: المرضعة غير ولدها، ويقع على الذكر والأنثى. النهاية (٣/١٥٤).

(٧) أخرجه مسلم، كتاب: الفضائل، باب: رحمته ﷺ (٤/١٨٠٨برقم٢٣١٦).

المطلب الرابع

آثار رحمة الله في موت الكافر

النصوص الواردة في هذا المطلب قليلة جدًا -بحسب علمي- بخلاف ما جاء فيما يتعلق بالمؤمن، فقد ورد العشرات من النصوص التي تبرز آثار رحمة الله تعالى في موته، والتي تجعله يستشعر عظيم فضل الله عليه، وتوقفه على رحمة الله الخاصة به في موته.. والتي أولاه إياها دون الكافر والفاجر، فيزداد لربه عبودية وشكرًا.

وبتتبع النصوص وجدت نموذجين يبرزان آثار رحمة الله تعالى في موت الكافر.

الأول: النصوص التي أفادت تعجيل حسنات الكافر في دنياه.

قال ﷺ: «إن الله لا يظلم مؤمنًا حسنةً، يعطي بها في الدنيا، ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر: فيطعم بحسناته ما عمل بها لله في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزي بها»[1].

فظاهر الحديث تعجيل ثواب الكافر على أعماله الصالحة في الحياة الدنيا، وهذا يشغل عمره كله، وهذا من عدل الله تعالى ومن آثار رحمته به أنه لا يظلمه مثقال ذرة، وأنه يستوفي كل حسناته إلى أن تفارق روحه جسده.

فالكافر قد يصل الرحم، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الدهر، وهذه حسنات يثاب عليها بالعافية والولد وسائر الأرزاق، وقد يثاب عليها بتخفيف سكرات الموت، وبطيب النفس فيما قبل خروج الروح.

(١) أخرجه مسلم، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: جزاء المؤمن بحسناته... (٤/٢١٦٤برقم٢٨٠٨).

فعن عائشة أم المؤمنين قالت: لم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة[1]، قالت: والله إنها لعندي تحدث معي تضحك ظهرًا وبطنًا، ورسول الله ﷺ يقتل رجالهم بالسوق، إذ هتف هاتف باسمها: أين فلانة؟ قالت: أنا والله!!

قالت: قلت: ويلك وما لك؟ قالت: أقتل! قالت: قلت: ولم؟ قالت: حدثًا أحدثته، قالت: فانطلق بها، فضربت عنقها!

وكانت عائشة تقول: والله ما أنسى عجبي من طيب نفسها وكثرة ضحكها، وقد عرفت أنها تقتل!![2].

والثاني: مشروعية دعوة الكافر حال احتضاره للإسلام.

فإنه لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل، وعبدالله بن أبي أمية، فقال النبي ﷺ: «أي عم، قل: لا إله إلا الله، أحاج لك بها عند الله» فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبدالمطلب؟ فقال النبي ﷺ: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١١٣﴾ [التوبة][3].

وفي قصة الغلام اليهودي الذي كان يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه النبي يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: «أسلم»... فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار»[4].

(١) المرأة القتيل من بني قريظة، وهي التي طرحت الرّحا على خلاد بن سويد فقتلته. انظر: الروض الآنف في شرح غريب السير (٣/٤٤٤).
(٢) أخرجه أحمد(٦/٢٧٧برقم٢٦٣٦٤) واللفظ له، والحاكم (٣/٣٥برقم٤٣٣١)، وقال شعيب في تعليقه على المسند: إسناده حسن.
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) تقدم تخريجه.

ولما سئل النبي ﷺ: أي الناس خير؟ قال: «من طال عمره وحسن عمله»، قال: فأي الناس شره؟ قال: «من طال عمره وساء عمله»[1]، ولا أسوأ من الكفر! .

ففي موت الكافر رحمة له في عدم الازدياد من سخط الله كلما امتد به العمر.

المطلب الخامس
آثار رحمة الله المتعدية في الموت

المقصود هنا إبراز آثار رحمة الله تعالى التي تمتد، لتشمل غير المبتلى بالموت، فهي ثمرة مبنية على مصاب الغير، وبها يحصل الأجر والخير للآخرين، وقد حفلت نصوص الوحي بالكثير من البراهين على الآثار المتعدية، التي يظفر بها المسلم من جراء المصيبة بفقد ولد أو قريب أو حبيب، متى صبر واحتسب، قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة].

قال ابن سعدي في معنى الابتلاء في الأنفس: " أي: ذهاب الأحباب من الأولاد، والأقارب، والأصحاب، ومن أنواع الأمراض في بدن العبد، أو بدن من يحبه"[2].

(١) أخرج الترمذي، كتاب: الزهد، باب: ما جاء في طول العمر للمؤمن (٥٦٦/٤برقم٢٣٣٠)، وقال: حديث حسن صحيح، وأورده الألباني في السلسلة (٩١٧/١٤) وصححه.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٥٧).

والآن مع جملة من آثار رحمة الله المتعدية في الموت:

١. إن الله يكفر به السيئات.

قال ﷺ: «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياه»[١].
ومن ذلك ما يصيب أطفالهم، وقد قال ﷺ: «ما يزال البلاء بالمؤمن في نفسه، وولده، وماله، حتى يلقى الله وما عليه خطيئة»[٢].

٢. إن الله يرفع به الدرجات.

قال ﷺ: «إن الرجل لتكون له عند الله المنزلة فما يبلغها بعمل، فلا يزال الله يبتليه بما يكره حتى يبلغه إياها»[٣]، وموت الأحباب من أعظم المصاب.

٣. إن الله يخلف المصاب بخير مما نزل به مع الصبر والاحتساب.

قال ﷺ: «ما من عبد تصيبه مصيبة، فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي، وأخلف لي خيرًا منها. إلا آجره الله في مصيبته، و أخلف له خيرًا منها»[٤].

٤. إن الله يكرم الحامد الصابر لفقد ولده ببيت الحمد في الجنة.

وهذه فضيلة ورتبة زائدة على مجرد دخول الجنة؛ لقوله ﷺ: «إذا مات ولد الرجل، يقول الله تعالى للملائكة: أقبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم. فيقول: أقبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم. فيقول:

(١) تقدم تخريجه.
(٢) أخرجه الترمذي: كتاب: الزهد، باب: ما جاء في الصبر على البلاء (٦٠٢/٤برقم٢٣٩٩)، وقال: حديث حسن صحيح، وأورده الألباني في الصحيحة (٢٢٨٠/٥) وصححه.
(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٦٩/٧برقم٢٩٠٨) واللفظ له، والحاكم (٤٩٥/١برقم١٢٧٤) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأورده الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٨١/٣) وقال: حسن صحيح.
(٤) أخرجه مسلم: كتاب: الجنائز، باب: ما يقال عند المصيبة (٦٣١/٢برقم٩١٨).

فماذا قال عبدي؟ قال: حمدك واسترجع. فيقول: ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد»[١].

٥. إن الله جعل زيارة القبور مذكرة بالموت والآخرة ومرققة للقلوب.

قال ﷺ: : «زوروا القبور تذكركم الموت»[٢]، وقال: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها، فإنه يرق القلب، وتدمع العين، وتذكر الآخرة، فزوروها، ولا تقولوا هجرًا»[٣].

٦. إن الله يثيب على التعزية.

قال ﷺ: «ما من مؤمن يعزي أخاه بمصيبة إلا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة»[٤].

٧. إن الله يثيب من غسل ميتًا وستر عليه، وكفنه، وأجنه.

قال ﷺ: «من غسل ميتا فكتم عليه غفر الله له أربعين مرة، ومن كفن ميتًا كساه الله من سندس وإستبرق في الجنة، ومن حفر لميت قبرًا فأجنه فيه، أجرى الله له من الأجر كأجر مسكن أسكنه إلى يوم القيامة»[٥].

(١) أخرجه الترمذي، كتاب: الجنائز، باب: فضل المصيبة إذا احتسب (٣٤١/٣برقم١٠٢١) وقال: حسن غريب، وأورده الألباني في الصحيحة (٤٨٢/٣) وقال: حسن بمجموع طرقه.

(٢) أخرجه النسائي، كتاب: الجنائز، باب: زيارة قبر المشرك (١٥٨/٧برقم٢٠٠٧) واللفظ له، وابن ماجه، كتاب: الجنائز، باب: ما جاء في زيارة القبور (٥١٢/٢برقم١٥٧٢)، وأورده الألباني في أحكام الجنائز (ص١٨٨) وصححه.

(٣) أخرجه أحمد(٤٧٣/٤برقم١٣٤٨٧)، والحاكم (٥٣٢/١برقم١٣٩٣) واللفظ له، وقال الألباني في أحكام الجنائز (ص١٧٩): "أخرجه الحاكم بسند حسن، وأحمد من طريق أخرى عن أنس، وفيه ضعف".

(٤) أخرجه ابن ماجه: كتاب: الجنائز، باب: ما جاء في ثواب من عزى مصابًا (٥٣٢/٢برقم١٦٠١)، وأوردة الألباني في الصحيحة (٣٧٨/١) وصححه، وفي الترغيب والترهيب (٢٠٦/٣)، وقال: حسن لغيره.

(٥) أخرجه الحاكم (٥٠٥/١برقم١٣٠٧)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وأورده الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٠١/٣) وصححه، وفي الجنائز (ص٥١) ووافق الحاكم والذهبي، وقال: "قد رواه الطبراني في الكبير، بلفظ: " أربعين كبيرة "، وقال =

٨. إن الله جعل الأجور العظيمة بشهود الجنازة.

قال رسول الله ﷺ: «من شهد الجنازة حتى يصلى عليها فله قيراط، ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان». قيل: وما القيراطان؟ قال: «مثل الجبلين العظيمين»[١].

٩. إن الله جعل الوِلدَان حجابًا لوالديهم من النار.. مع الصبر والاحتساب.

لقوله ﷺ: «ما من امْرَأَيْنِ مسلمين هلك بينهما ولدان أو ثلاثة، فاحتسبا وصبرا، فيريان النار أبدًا»[٢].

١٠. إن الله يقبل شفاعة الوِلدَان في والديهم ليدخلوا الجنة.

قال ﷺ: «يقال للولدان يوم القيامة: ادخلوا الجنة» قال: «فيقولون: يا رب، حتى يدخل آباؤنا وأمهاتنا» قال: «فيأتون»، قال: «فيقول الله -عز وجل-: ما لي أراهم محبنطئين؟[٣] ادخلوا الجنة» قال: «فيقولون: يا رب آباؤنا، وأمهاتنا» قال: «فيقول: ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم»[٤].

١١. إن الله يقبل شفاعة الشهيد لأهل بيته.

قال ﷺ: «للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة،

= المنذري (٤/ ١٧١) وتبعه الهيثمي (٣/ ٢١): "رواته محتج بهم في الصحيح"، وقال الحافظ ابن حجر في الدراية(١ ٤٠): " إسناده قوي".

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الجنائز، باب: من انتظر حتى تدفن (١/٤٤٥برقم١٢٦١) نحوه، ومسلم: كتاب: الجنائز، باب: فضل الصلاة على الجنازة واتباعها (٣/٥١برقم٢٢٣٢) واللفظ له.

(٢) أخرجه أحمد (٨/١٠٨برقم٢١٥٢٣) واللفظ له، وابن حبان، كتاب: الجنائز، باب: ما جاء في الصبر وثواب المرض (٧/٢٠٢برقم٢٩٤٠) وصححه شعيب، والطبراني في الكبير (٢/١٥٥برقم١٦٤٥)، وأورده الألباني في الصحيحة (٥/٣٢٩) وصححه.

(٣) محبنطئين: المحبنطىء -بالهمز وتركه- المتغضب المستبطىء للشيء، وقيل: هو الممتنع امتناع طلبة، لا امتناع إباء. انظر: النهاية (١/٣٣١).

(٤) أخرجه أحمد (٦/٤١٠برقم١٦٩٦٨)، وقال الهيثمي في المجمع (٣/٩٥): "أخرجه أحمد ورجاله ثقات".

ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه»[1].

هذه جملة من النصوص التي تشير إلى بعض من آثار رحمة الله المتعدية، التي تحصل للمسلم بموت الغير.

وفي الجملة، فإن موت الغير يفتح للمسلم أبوابًا كثيرة من الأعمال الصالحة، التي يحبها الله تعالى من عباده ويكافئهم ويثيبهم عليها، مثل: الدعاء، والشكر، والصبر، والاستغفار، والإيثار، والرحمة، والصدقة، وغير ذلك كثير، مما يكون سببًا في زيادة حسناتهم، وحط سيئاتهم، ورفع درجاتهم.

(١) أخرجه الترمذي، كتاب: الجهاد.، باب: في ثواب الشهيد (١٨٧/٤برقم١٦٦٣) واللفظ له، وقال: حديث حسن صحيح غريب، وابن ماجه، كتاب: الجهاد، باب: فضل الشهادة في سبيل الله (٨٢/٤ برقم٢٧٩٩)، وأورده الألباني في الصحيحة (١٦/١٣) وقال: إسناده شامي صحيح.

الخاتمة

وفيها أهم النتائج والتوصيات:

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد انتهيت بعون الله وتوفيقه من إتمام هذا البحث، وفي ختامه أُجمل أهم النتائج التي توصلت إليها في النقاط الآتية:

١. إن في آثار رحمة الله في المرض والموت إثباتًا لكمال صفات الرحمة والعدل والحكمة الإلهية.

٢. إن رحمة الله تعالى قد وسعة كل شيء، وإنها تجلت في المرض والموت من خلال:
   - آثارها في العوض في المرض والموت.
   - آثارها المتعدية في المرض والموت.

٣. إن الشر في المرض والموت نسبي إضافي وليس بمحض.

٤. إن المرض والموت من الأقدار النافذة.

٥. إن الله سخر لنا من مخلوقاته، وشرع لنا من دينه ما نتداوى به ونتحصن من المرض والموت قبل نهاية الأجل.

٦. إن ما ينال المؤمنين من آثار رحمة الله في المرض والموت أضعاف ما ينال الكافرين.

٧. إن آثار رحمة الله في المرض والموت تمتد مع المؤمن إلى البرزخ فما بعده، بينما الكافر تتوقف وتنقطع بموته.

٨. إن الإنسان قد يدرك طرفًا من حكمة الله في المرض والموت، وقد يجهل ذلك.

٩. إن الجهل بآثار رحمة الله في المرض والموت أحد أسباب سوء الظن بالله تعالى.

١٠. إن الجهل بآثار رحمة الله في المرض والموت قد ينعكس على المتصف به بأمراض نفسية وجسدية.

١١. إن العلم بآثار رحمة الله في المرض والموت مما يزيد الإيمان ويقويه.

توصيات الباحث:

تتلخص في ضرورة الاهتمام بنشر الوعي والثقافة الدينية، التي تبرز آثار رحمة الله تعالى بالناس كافة وبالمؤمنين خاصة مما يصيبهم في هذه الدنيا من آلام المرض والموت، وتأكيد إنها ليست بشر محض، وإن خلفها من الحكم الإلهية ما لا يحيط به فكر.

ويمكن توعية الناس عمليًّا عن طريق الندوات، والمحاضرات، والخطب، والمسابقات، والمؤلفات، ومقاطع الفيديو.

والله أعلم..

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا وحبيبنا وقدوتنا وقرة أعيننا.. محمد بن عبدالله، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

فهرس المصادر والمراجع

١. أحكام الجنائز وبدعها: الألباني، ط(١٤١٢هـ) دار المعارف - الرياض.
٢. إحياء علوم الدين: الغزالي، ط/دار المعرفة - بيروت.
٣. الأدب المفرد: البخاري، تحقيق: محمد فؤاد، ط٣ (١٤٠٩هـ) دار البشائر - بيروت.
٤. الأصول والفروع: ابن حزم، تحقيق: عاطف، ط١ (١٩٧٨م) دار النهضة العربية - القاهرة.
٥. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: الشنقيطي، ط١ (١٤١٥هـ) دار الفكر - بيروت.
٦. الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة: الجياني، ط١ (١٤١١هـ) دار الجيل - بيروت.
٧. الموسوعة الفقهية الكويتية: (نسخة إلكترونية من الشاملة) وزارة الشؤون والأوقاف الكوينية - الكويت.
٨. أيسر التفاسير: الجزائري، ط٥ (١٤٢٤هـ) مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة.
٩. تاج العروس من جواهر القاموس: الزبيدي، تحقيق: عبدالستار أحمد، ط (١٤١٤هـ) التراث العربي - بيروت.
١٠. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: المباركفوري، ط/دار الكتب العلمية - بيروت
١١. التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة: القرطبي، ط١ (١٤١٧هـ) دار البخاري - المدينة.

١٢. بيان المعاني: ملا حويش، ط (١٣٨٢هـ) مطبعة الترقي - دمشق.
١٣. التعريفات: الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط١ (١٤٠٥هـ) دار الكتاب العربي- بيروت.
١٤. تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ط٥ (١٤١٦هـ) مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت.
١٥. تفسير روح البيان: حقي، ط/دار إحياء التراث.
١٦. تفسير غريب القرآن ورغائب الفرقان: النيسابوري، ط١ (١٤١٦هـ) دار الكتب العلمية.
١٧. تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم: ابن أبي نصر، ت: زبيدة، ط١ (١٤١٥هـ) مكتبة السنة - القاهرة.
١٨. تهذيب اللغة: الأزهري، ط١ (٢٠٠١م) دار إحياء التراث العربي - بيروت.
١٩. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ابن سعدي، تحقيق: اللويحق، ط١ (١٤٢٠هـ) مؤسسة الرسالة.
٢٠. التيسير بشرح الجامع الصغير: ط٣ (١٤٠٨هـ) مكتبة الإمام الشافعي - مصر.
٢١. جامع البيان في تأويل القرآن: الطبري، ط١ (١٤١٢هـ) دار الكتب العلمية - بيروت.
٢٢. الجامع الصحيح سنن الترمذي: الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، ط/دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٢٣. جمهرة اللغة: ابن دريد، تحقيق: رمزي بعلبكي، ط ١ (١٤٠٨هـ) دار العلم للملايين - بيروت.
٢٤. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي: ابن قيم الجوزية، ط (١٤١٨هـ) دار المعرفة.

٢٥. الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ط/دار الفكر – بيروت.
٢٦. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الآلوسي، ط٤(١٤٠٥هـ) دار إحياء التراث العربي- بيروت.
٢٧. زاد المعاد في هدي خير العباد: ابن القيم، ط/ مؤسسة الرسالة – بيروت
٢٨. الزاهر في معاني كلمات الناس: الأنباري، ط (١٤١٢هـ) مؤسسة الرسالة – بيروت.
٢٩. سلسلة الأحاديث الصحيحة: الألباني، ط (١٤١٥هـ) مكتبة المعارف – الرياض.
٣٠. سلسلة الأحاديث الضعيفة: الألباني ط١ (١٤١٢هـ) مكتب المعارف- الرياض.
٣١. سنن ابن ماجه: ابن ماجه ط (١٤٠١هـ)، دار الدعوة- استانبول.
٣٢. سنن أبي داود: أبو داود، ط/وزارة الأوقاف المصرية، دار الكتاب العربي- بيروت.
٣٣. سنن الدارمي: الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، ط١ (١٤٠٧هـ) دار الكتاب العربي – بيروت
٣٤. شرح النووي على صحيح مسلم: النووي، ط٢(١٤٩٣هـ) إحياء التراث العربي.
٣٥. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل: ابن قيم الجوزية، ط (١٣٩٨هـ) دار المعرفة – بيروت
٣٦. صحيح ابن حبان: تحقيق: شعيب، ط٢ (١٤١٤هـ)، مؤسسة الرسالة- بيروت.
٣٧. صحيح البخاري: البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، ط ٤ (١٤١٠هـ) دار ابن كثير، دمشق – بيروت.

٣٨. الصحاح: الجوهري، ط٤/ ١٩٩٠م، دار العلم للملايين - بيروت.
٣٩. صحيح الترغيب والترهيب: الألباني، ط(١٩٨٦م) المكتب الإسلامي- بيروت
٤٠. صحيح الجامع الصغير وزيادته: الألباني، ط٣ (١٤٠٢هـ) المكتب الإسلامي - بيروت.
٤١. صحيح سنن ابن ماجه: الألباني، ط١ (١٤٠٧هـ) المكتب الإسلامي- بيروت.
٤٢. صحيح سنن أبي داود: الألباني، ط (١٤٠٩هـ) المكتب الإسلامي - بيروت.
٤٣. صحيح سنن الترمذي: الألباني، ط١ (١٤٢٠هـ) مكتبة المعارف - الرياض.
٤٤. صحيح مسلم: الإمام مسلم، تحقيق: محمد فؤاد، ط/دار إحياء التراث العربي - بيروت
٤٥. عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ط (١٣٩٩هـ) دار الفكر - بيروت.
٤٦. عون المعبود شرح سنن أبي داود: أبو الطيب، ط٢ (١٤١٥هـ) دار الكتب العلمية - بيروت.
٤٧. فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر، ط (١٣٧٩هـ) دار المعرفة - بيروت.
٤٨. الفصل في الملل والأهواء والنحل: ابن حزم، تحقيق: محمد نصر وآخر، ط (١٤٠٥هـ) دار الجيل - بيروت.
٤٩. الفوائد: ابن قيم الجوزية، ط٢ (١٣٩٣هـ) دار الكتب العلمية - بيروت.
٥٠. لسان العرب: ابن منظور، ط١، دار صادر- بيروت.

٥١. صحيح وضعيف الجامع الصغير: الألباني، ط/المكتب الإسلامي.
٥٢. فيض القدير شرح الجامع الصغير: المناوي، ط٢ (١٣٩١هـ) دار المعرفة - بيروت.
٥٣. الكليات: لأبي البقاء، إعداد: عدنان درويش وآخر، ط ٢ (١٤١٣هـ) مؤسسة الرسالة - بيروت.
٥٤. مجموع الفتاوى: ابن تيمية، ط٣ (٢٠٠٥م) دار الوفاء - مكة.
٥٥. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن غالب، ت: عبدالسلام، ط١(١٤١٤هـ) دار الكتب العلمية - بيروت.
٥٦. المخصص: ابن سيده، ط١ (١٤١٧هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٥٧. المستدرك على الصحيحين: الحاكم، ت: مصطفى عبدالقادر، ط١(١٤١١هـ) دار الكتب العلمية - بيروت.
٥٨. مسند أبي داود الطيالسي: الطيالسي، طبعة دار المعرفة، بيروت - لبنان.
٥٩. مسند أبي يعلى: أحمد بن علي بن المثنى، تحقيق: حسين سليم، ط١ (١٤٠٤ هـ) دار المأمون للتراث- دمشق.
٦٠. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل، ط/مؤسسة قرطبة - القاهرة.
٦١. مسند الإمام أحمد: أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب، ط٢(١٤٢٠-١٩٩٩) مؤسسة الرسالة - بيروت.
٦٢. مشكاة المصابيح: التبريزي، تحقيق: الألباني، ط٣ (١٤٠٥هـ) المكتب الإسلامي - بيروت.
٦٣. معالم التنزيل: البغوي، تحقيق: محمد عبدالله وآخرون، ط (١٤٠٩هـ) دار طيبة - الرياض.

٦٤. المعجم الصغير: الطبراني، ط (١٤٠٣هـ) دار الكتب العلمية - بيروت.
٦٥. المعجم الأوسط: الطبراني، تحقيق: طارق عوض الله، ط (١٤١٥هـ) دار الحرمين - القاهرة.
٦٦. المعجم الكبير: الطبراني، تحقيق: حمدي عبدالمجيد، ط١ (١٤٠٠هـ) مطبعة الوطن العربي - بغداد.
٦٧. معجم لغة الفقهاء: قلعجي، ط٢ (١٤٠٨هـ) دار النفائس - بيروت.
٦٨. معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، ط٢ (١٤٢٠هـ) دار الجيل - بيروت.
٦٩. مفردات ألفاظ القرآن: الراغب، ط٢ (١٤١٨هـ) دار القلم - دمشق.
٧٠. الموسوعة الطبية الفقهية: أحمد كنعان، ط١ (١٤٢٠هـ) دار النفائس - بيروت.
٧١. الموطأ: مالك بن أنس، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ط٢ (١٤١٣هـ) دار الحديث - القاهرة.
٧٢. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: ابن الجوزي، ت: محمد كاظم، ط (١٤٠٤هـ) مؤسسة الرسالة- بيروت.
٧٣. النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير، ط (١٩٧٩م) المكتبة العلمية - بيروت.